تراثنا

نشرة فصلية تصدرها
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

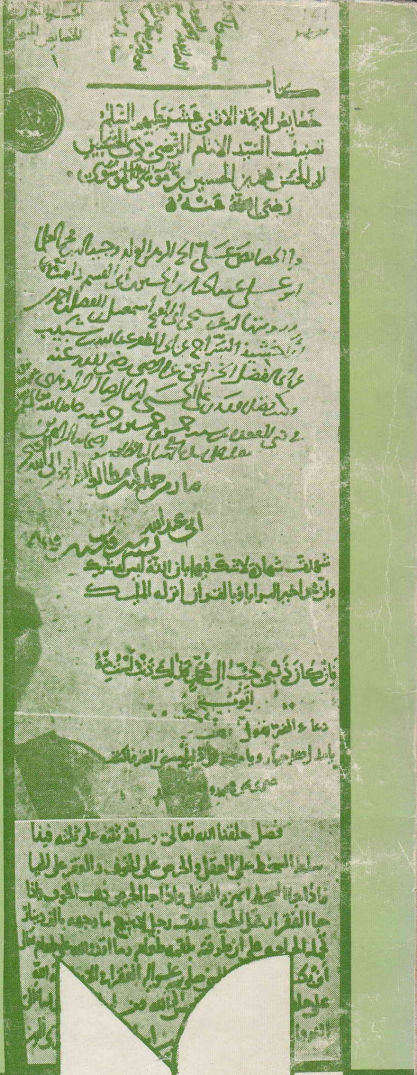

عدد خاص

بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشريف الرضي

العدد الخامس - السنة الأولى - ١٤٠٦ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السّلام ـ لإحياء التراث

■ الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.

■ الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.

■ ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.

■ النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها.

المراسلات:

تعنون باسم: **هيئة التحرير**

صفائية ـ ممتاز ـ پلاك ٧٣٧ ـ ت: ٢٣٤٥٦

ص . ب ٤٥٤ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران

إسم النشرة: تراثنا

العدد الخامس ـ السنة الأُولى ـ ١٤٠٦هـ . ق.

عدد خاصّ بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الشريف الرضيّ (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ).

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السّلام ـ لإحياء التراث.

العدد: ١٠٠٠ نسخة

صورة الغلاف: الورقة الأُولى من مخطوطة كتاب «خصائص الائمّة» للشريف الرضيّ، كتبت سنة ٥٥٥هـ.

دفاع عن الشريف الرضي في عقيدته

الدكتور الشيخ محمّد هادي الأميني

لم يكن الشريف الرضي رضي الله عنه- بأوّل من تزاحمت حوله نظريات زائفة، وحامت دون صميم عقيدته أقاويل مختلفة، وآراء متضاربة مما أثار هذا التزاحم الشك والحذر والتساؤل عن عقيدته لإدراك الواقع والحقيقة، لأنّ التاريخ كثيراً ما يقسو، والقلم قد يسكب عن الصراط المستقيم، والبيان يشذّ عن مهيع الحق، فيحرّف الكلم عن مواضعها الأصيلة، وهذا ما نشاهده بكثرة في معاجم السير والتراجم والتاريخ:

كم حادث جلل ببطن الكتب يدرسها سرد المؤرخ ذكره طوعاً لما أوحى الهوى

فإذا ما تصفحنا التاريخ بدقة ودرسناه دراسة تتبّع وتحقيق لألفينا على صفحاته من النظريات الشاذّة والآراء المتناقضة المتضاربة بالنسبة إلى رجالات الشيعة الإمامية بصورة عامةعلى امتداد التاريخ، إذ لم يسلموا من لدغات هاتيكم الكلمات القارصة، والنسب الفارغة المفتعلة، مع اليقين أنهم متبرئون منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السّلام.

إنّ الشريف الرضيّ واحد من الذين جنى عليهم التاريخ، وحرّف القلم عن بيان واقعه، وتعريف حقيقته فشطّ عن مهيع الحق، وسجّل ماهو خلاف الواقع لذلك اندفع المؤلف والكاتب عن الشريف الرضي يضع علائم الإستفهام حول معتقده، ودينه،وعقيدته، وسياسته، وحتى حياته الفردية والإجتماعية لأنّ الأمر التبس عليه من جراء هذا التزاحم والتحريف. فالتاريخ ارتكب الأمرين: إخفات الواقع واخفاء الحقيقة، وأخيراً اعياء الأجيال وإتعاب الأنسال،مع العلم أنّ حياة الشريف الرضي لا

يكتنفها الغموض، فهي كسائر حياة رجالات الشيعة تتناول ناحيتين احداها سياسية والأُخرى دينية، وأساس الناحيتين واحدوليست الصفة هذه خاصة به بل ان قادة الشيعة وعلماءها كافة في جميع الأدوار والقرون كانوا كائمتهم الهداة عليهم السّلام رجال علم ودين وفقه واجتهاد، ورجال سياسة وقيادة وسيف وحرب معاً.

لقد تضاربت النظريات حول الشريف الرضي، كما تزاحمت في شخصية تلميذه شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، ذلك العملاق العلمي الذي استقل بالزعامة الدينية وتقلّد شؤون الطائفة الإمامية والفتيا إلى أن توّفي عام ٤٦٠هـ، فقد ترجم له تقي الدين السبكي في «طبقات الشافعية» المجلد٣ ص٥١، وقال: إنّ أبا جعفر الطوسي كان ينتمي إلى مذهب الشافعي قدم بغداد وتفقّه على مذهب الشافعي. واحتذى حذوه شمس الدين الذهبي في كتابه «مناقب الشافعي وطبقات أصحابه»، والحاجي خليفة في «كشفْ الظنون» المجلد ١ ص٤٥٢، إلى غيره من الأقاويل التي لا مقيل لها في ظلّ الحقيقة، وبعيدة كل البعد عن جادة الصدق والصواب والصحة. وهذه الناحية تخص تراجم رجالات الطائفة الإمامية فحسب، ولا طريق لها في تراجم رجال المذاهب الإسلامية الأُخرى، وإن شوهدت ففي نطاق ضيق، وداخل اطار محدود.

و هذا إن دلّ على شيء فانّما يدلّ على جهل أُولئك المؤلفين برجال الشيعة وتصانيفهم، ويكشف عن عدم دراستهم لمؤلفاتهم ليقفوا على صفحاتها ماينبيء عن واقع عقيدتهم، وحقيقة معتقداتهم ولو بصورة سطحية، هذا وربّما كان الحسد باعثاً على التمويه والخلط:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله ... فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً و بغضاً إنّه لدميم

امّا بالنسبة إلى أبي الحسن الرضي فهناك أعجب كلمة وأغرب قولة قالها شمس الدين الذّهبي فقد جاء في كتابه «سيرالنبلاء» المجلد ٣ ص٢٨٩ في حوادث سنة ٤٣٦: وفيها توفي شيخ الحنفية العلامة المحدّث أبوعبدالله الحسين بن موسى الحسيني الشريف الرضي واضع كتاب «نهج البلاغة».

ان هذاالقول مردود لجهات:

١ ـ إنّ الحسين بن موسى هو والد الشريف الرضي لا اسم الشريف الرضي، وقد توفي عام ٤٠٠ لا سنة ٤٣٦، ورثاه الشريفان المرتضى والرضيّ، ورثاه أبو العلاء المعري، ومهيار الديلمي.

٢ ـ جامع نهج البلاغة محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي لا الحسين بن موسى، وكان من أبطال و رجالات الشيعة الإمامية لا شيخ الحنفية كما صرحت بذلك المصادر، ومنهم جلال الدين السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» فقال: كان الشريف أبو أحمد سيداً عظيماً مطاعاً وكانت هيبته أشدّ هيبة، ومنزلته عند بهاء الدولة أرفع المنازل، ولقبّه بالطاهر، والأوحد، وذوي المناقب، وكانت فيه كل الخصال الحسنة إلاّ انّه كان رافضياً هو وأولاده على مذهب القوم.

٣ ـ إنّ نهج البلاغة للشريف الرضيّ من غير شكّ و ترديد مهما طبّل وزمّر المعاند المتطفل على موائد الكتابة والتأليف فأبدى ضآلة رأيه، وسخف أنظاره، فجاء كالباحث عن جثته بظِلفه، فقال احدهم: إنّه كلّه من كلام جامعه لا من كلام من نسب إليه. وجاء آخر فزعم أنه من تأليف الشريف المرتضى أخي الشريف الرضي، وادّعى انه من وضعه أيضاً لا من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام. وبعضهم تنازل عن هذه الدعوى الى ماهو أخف منها، فقال: قد أدخل فيه ما ليس من كلام علي (ع)، وبعضهم كالذهبي شمس الدين في كتابه «الميزان»، تجاوز الحدّ فادعى ان كلامه ركيك وأنه ليس من نفس القرشيين.

هذا ما في كتب القوم بالنسبة إلى الشريف الرضيّ ومهما يكن من أمر فالذي ينبغي القول به حقا: إنّ الشريف الرضي كان فقيهاً عالماً متكلماً مجتهداً عملاقاً ومن كبار رجالات الشيعة الإمامية وانّه لم يكن زيدياً، ولم ينتسب الى طائفة أو مذهب غير التشيع، فهو يؤمن برسالة النبيّ الأعظم (ص) وإمامة وخلافة الائمة الأثني عشر عليهم السّلام.

لقد صرّح و أبان بمعتقده هذا في طيات نثره ونظمه، ولم يتطرّق بصورة باتة إلى ذكر زيد أو عمرو أو الى إسم واحد من ائمة الزيدية، لذلك كانت على منثوره ومنظومه مسحة من العبق العلويّ الأمامي... والعطر الجعفري الإثني عشري، وسيبقى خالداً إلى الأبد مع الحياة ومادامت الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إنّ الشريف الرضي عبّر في شعوره عن ولائه وحبه الخالص لآل البيت عليهم السّلام، ودافع عن حقهم المشروع المغتصب وعدّ أسماءهم الكريمة ومحلّ قبورهم الشريفة، ومثاوبهم المقدسة، وأتى بعين الواقع فما أحلى أسماءهم، وأكرم أنفسهم، وأعظم شأنهم، وأجلّ خطرهم، وأوفى عهدهم، وأصدق وعدهم، كلامهم نور وأمرهم رشدٌ ووصيّتهم التقوى، وفعلهم الخير، وعادتهم الإحسان، وسجيتهم الكرم، وشأنهم الحق، والصدق، والرفق، وقولهم حكم وحتم، ورأيهم علم وحلم، إن ذُكر الخير كانوا أوّله وأهله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.

قال في مفتتح كتابه «خصائص الائمة»: كنت حفظ الله عليك دينك، وقوّى في ولاء العترة يقينك ـ سألتني أن أُصنّف لك كتاباً يشتمل على خصائص أخبار الائمة الإثني عشر صلوات الله عليهم، على ترتب أيامهم، وتدريج طبقاتهم، ذاكراً أوقات مواليدهم، ومدد أعمارهم، وتواريخ وفاتهم، ومواضع قبورهم، وأسامي أُماتهم، ومختصراً من فضل زياراتهم، ثم مورداً طرفا من جوابات المسائل التي سُئلوا عنها، واستخرجت أقاويلهم فيها، ولمعاً من أسرار أحاديثهم، وظواهر وبواطن أعلامهم، ونبذاً من الأصحاح في النص عليهم».

و من نماذج شعره قوله في قصيدة يفتخر بأهل البيت و يذكر قبورهم ويتشوّق إليها ومنها:

سَقى الله المدينة من محل ... لباب الماء و النطف العذاب
وَجاد على البقيع وساكنيه ... رخيّ الذيل ملآن الوطاب
و أعلام الغريّ وما أستباحت ... معالمها من الحسب اللباب
و قبر بالطفوف يضمُّ شلواً ... قضى ظمأ إلى برد الشراب
و بغداد وسامرا وطوس ... هطول الودق منخرق العباب
قبور تنطف العبرات فيها ... كما نطف الصبير على الروابي
صلاة الله تخفق كل يوم ... على تلك المعالم والقباب

إلى أن يقول:

ولي قبران بالزوراء أُشفي ... بقربهما نزاعي واكتئابي
اقود اليهما نفسي وأُهدي ... سلاماً لا يحيد عن الجواب

لـقـاؤهـمـا يطـهـر مـن جـنـانـي ... ويـدرأُعـن ردائي كـلّ عـاب
قسيم الـنـار جـدّي يـوم يـلقى ... بـه بـاب الـنـجـاة من الـعذاب
وسـاقي الخلق والمهـجـات حرّى ... وفـاتحـة الصـراط إلى الحسـاب

هذا و في شعره الكثير من هاتيك النماذج الحية نضرب عنها صفحاً خشية الإطالة، وحسبنا انها صريحة بأنّ الشريف الرضي شيعي إمامي في جوانبه العلمية والفكرية والعقائدية والسياسية كافة، وأخيراً كان المثل الأعلى في الفضائل كلها، وأختم حديثي بما قاله علي بن الحسن الباخرزي في كتابه «دمية القصر» قال: ولعمري إنّ بغداد قد أنجبت به فبوّأته ظلالها، وأرضعته زلالها، وأنشقته شمالها، وورد شعره دجلتها، فشرب منها حتى شرق، وانغمس فيها حتى كاد يقال غرق، فكلما انشدت محاسنه تنزّهت بغداد في نضرة نعيمها، واستنشقت من نفاس الهجير بمراوح نسيمها...